الفصل السابع

الصحافة العراقية المهاجرة

أولاً: مجلة الطليعة العربية

رغم أن النظام العراقي كان حظه وفيراً في عدد من يؤيده من الصحف العربية المهاجرة، وفي مقدمتها مجلتي (الوطن العربي) التي تصدر في باريس، (الدستور) التي تصدر في لندن، إلا أن هذا لم يمنعه من العمل على إصدار مجلة عراقية في باريس تخضع لسيطرة النظام العراقي بشكل مباشر، حيث تولى رئاسة تحريرها عنصر قيادي من الحكومة العراقية وفي حزب البعث الحاكم في العراق، ففي عام ١٩٨٣م، صدرت بباريس مجلة (الطليعة العربية) عن دار الفارس العربي، وهي شركة مساهمة رأسمالها مليون فرنك فرنسي، ويرأس تحريرها ناصيف عواد، وهو كاتب عراقي من أصل سوري، ويحتل مكانة بارزة في قيادة حزب البعث العربي بالعراق، ويقال أنه وصل في فترة ما إلى عضوية القيادة القومية للحزب، وقد سبق له أن عمل رئيسا لتحرير جريدة (الثورة) اليومية في العراق، والتي تعتبر لسان حال حزب البعث الحاكم في العراق.

ورغم أن المجلة أسبوعية، إلا أن اهتمامها بالتغطية الخبرية للأحداث ضعيف، وإنما ينصب اهتمامها على المجالات الفكرية، فهي مجلة رأي أكثر مما هي مجلة خبر.

وسياسة المجلة، تقوم على شرح وتفسير مواقف النظام العراقي تجاه القضايا العربية والدولية، بدليل أن الشؤون والقضايا العراقية تحتل المرتبة الأولى من اهتمامات المجلة، حيث تبرز المجلة المواقف العراقية في النزاع العراقي الإيراني، فالمجلة تتهم النظام الخميني في ايران بالعدوانية والرغبة في التوسع، وتشيد بالإنتصارات العراقية في ميادين القتال ضد ايران،[١] كذلك تهتم المجلة بالكشف عن مواقف كل من النظام السوري والنظام الليبي المؤيدة للمواقف الإيرانية ضد العراق.[٢] كذلك تقف المجلة مع المعارضة السودانية ضد نظام الرئيس جعفر نميري.[٣]

أما موقف المجلة من النظام المصري الجديد في ظل رئاسة الرئيس حسني

مبارك فهي تتبني مواقف النظام العراقي من مصر، أي التأييد المتحفظ، مع التأكيد على رفض اتفاقيات كامب ديفيد.[٤]

فالمجلة تحلل الأوضاع في مصر فتقول:

"في مصر تستمر عملية تعبير الإنسان عن إرادته وتتنافس الأحزاب وتعلو الأصوات، والأصوات المعارضة وهي كلها تعكس صيغة جديدة من العمل السياسي مهما قيل ويقال عنها تبقى تجربة ديموقراطية تختلف عن سابقاتها، إنه الإنسان الذي يعيد اعتباره من جديد،[٥] والطليعة العربية لاتخفي طابعها الأيديولوچي، لدرجة أنها تعترف في إحدى افتتاحياتها بأنها تضطر في بعض الأحيان إلى التدخل بالعنف والإضافة في بعض التقارير الصحفية التي تصل إليها من مندوبيها، حتى تبرز موقف المجلة الأيديولوچي من الحدث الذي يغطيه المندوب، فهي تقول، " في مجلة رأي مثل الطليعة العربية وفي مواضيع تلمس العصب ولا موقف وسط تجاهها، تشعر بضرورة التحديد ولو بكلمة تكون موقفا نراه ضروريا وقد يغفل عنه أو لا يراه، كذلك أي زميل، وهنا يأخذ التدخل ما يوحي بأنه يتباين أو يختلف أو حتى يتناقض في بعض الأحيان مع ما يقول الزميل، مثال ذلك ما أضافته هيئة التحرير من خاتمة موضوع الغلاف العدد ٨١ للزميل فهد الريماوي مراسلنا في عمان عن المجلس الوطني عندما قال إن مجرد انعقاد المجلس مهما أثير أو قد يثار حوله من ضباب يمثل موقفا استقلاليا وديموقراطيا سيبقى مثلا لن يكمل المسيرة - وهذا بالنسبة لنا موقف أساسي وحساس لا نستطيع التغاضي عنه، لكنا حتما لا نرضى أن نفرضه على غيرنا فكان لا بد من الإضافة وقتها، وكان لا بد من التنويه هنا كمثل من الأمثلة التي نواجه، وكنهج لا يجوز التفريط فيه".[٦]

وتعبير المجلة عن النظام العراقي، لا يدل عليه فقط غلبة الإهتمامات العربية على صفحات المجلة، وإنما يبرزه أيضا نوعية الكتاب الذين تنشر لهم المجلة، فأكثرهم من الكتاب العراقيين، أو الكتاب العرب غير العراقيين ممن يعرفون بتأييد النظام العراقي وتبني مواقفه، ومن الكتاب العراقيين كانت تنشر المجلة لشبل العشيمي الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي، الذي نشرت له المجلة دراسة استمرت ثلاثة أعداد بعنوان (العرب مادة الإسلام).[٧] والشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي

وعزيز الحاج والدكتور على جواد طاهر وعبد الستار ناصر، ومن الكتاب المصريين تنشر المجلة لمحمد عودة[٩] والدكتور حامد ربيع[١٠] وجمال الغيطاني[١١] ومصطفي طيبة[١٢] وغيرهم.

ويلفت النظر أن أكثرية المقالات التي تنشرها المجلة غير موقعة، أوتوقع بأسماء مستعارة.

وبتحليل مضمون مجلة الطليعة العربية نخرج بالنتائج التالية:

١ - لاتخفي مجلة (الطليعة العربية) هويتها العراقية، ولا كونها لسان حال النظام العراقي في صحافة المهجر، يؤكد ذلك سيطرة السمات الإيجابية على صورة النظام العراقي في المجلة، حيث تبين الدراسة أن ٢٧٪ من مقالات المجلة التي تعرضت للنظام العراقي تركز على سمة (منتصر) وهناك العديد من النماذج التي نشرتها المجلة تشيد بالإنتصار العراقي على إيران، منها مثلا ما نشرته تحت عنوان (في عملية عض الأصابع، أخيرا صرخت ايران) حيث قالت:

"وأخيرا ارتفع الصراخ من إيران وليس من العراق، فلعبة عض الأصابع المؤذية والتي استمرت حوالي العام وأريد بها دفع العراق للصراخ تألما من شدة الضغط الناجم عن الحرب أجبرت حكام طهران على الصراخ بل على الهذيان الناتج عن شدة الألم والشعور بالخيبة"[١٣]

وهناك ١٥٪ من مقالات المجلة تركز على سمة (قومي) ويلاحظ أن الخط الفكري العام للمجلة يقوم على اعتبار الحرب العراقية الإيرانية، حربا قومية بين العرب والفرس، وأن العراق يلعب في هذه الحرب دورا تاريخيا هو حماية الجناح الشرقي للوطن العربي من الخطر الفارسي، ومن هنا يمكن فهم حرص المجلة على إبراز المشاركة العربية الشعبية في دعم العراق، وعلى سبيل المثال فإن المجلة تنشر باباً يكاد يتكرر بين عدد وآخر بعنوان (وجه عربي) تقدم فيه المجلة مقاتلا مصريا متطوعا في الحرب في صفوف القوات العراقية، وذلك لتأكيد الوجه العربي للحرب.[١٤]

"للمرة الخامسة يشارك المقاتل العربي المصري أحمد محمد علي في المعركة

التي يشعر أنها معركة العرب جميعا، ضد قوى الغزو القادمة من بلاد فارس، وهو يتملكه هذا الشعور، فإنه يحدس النخوة العربية وهي تغلي في ضمائر وقلوب الشباب العربي أينما كانوا ويضيف:

- أشعر أنني بين أهلي ومعارفي، فلقد تركت القاهرة منذ زمن، وجئت إلى العراق طالبا العمل، وحين بهرتني الإنتصارات التي يحققها الجيش العراقي البطل على التخوم الشرقية للوطن العربي، أعلنت تطوعي، وشاركت في الذود عن كرامة الأمة وعزتها وشرفها، وهذا فخر كبير لي، ولأبنائي، بل ولجيلي من الشباب العربي..
- وأنت هنا للمرة الخامسة اذن.
- أجل، فلقد سبق لي أن شاركت في المرات السابقة في قواطع العمليات وفي خنادق القتال حيث يتواجد أخوة لي، تطوعوا من عموم أقطار الوطن العربي، ووقفوا صفا واحدا أمام موجات الحقد البشرية التي يزج بها النظام الإيراني ضد القطر العراقي، ونحن على يقين بأنه لا يستطيع أن يحقق أياً من أحلامه، وبهذه الأيادي العربية السمراء التي تمسك بزمام بنادقها وأسلحتها، تحسبا لأي عدوان تقدم عليه جيوش النظام الإيراني.

يستدير المقاتل أحمد محمد علي إلى جهة اليسار قليلا ويشير بيده السمراء المعروقة إلى تل بعيد، ويقول:

- هل ترى ذلك التل، لقد حاولوا الإستيلاء عليه، لإنه يشكل نقطة عسكرية هامة، ولكنهم لم يحصدوا سوى الخيبة، وما زالت جثثهم على الأرض الحرام، وسنظل هنا صامدين حتى بلوغ النصر الكبير".

وهناك ١٤٪ من مقالات الجريدة تركز على سمة (جماهيري) وأن ١٢٪ من المقالات تركز على سمة (مناضل) و١٢٪ تركز على سمة (محب للسلام) فالمجلة تؤكد باستمرار أن العراق "يريد السلام ولا شيء غيره، فالعراق هو الذي سعى طوال سنوات الحرب إلى صياغة عادلة لتحقيق تسوية لنزاعه مع إيران دون إراقة مزيد من الدماء والدمار".[١٤]

كذلك فهناك ٨٪ من مقالات المجلة تركز على سمة (إنساني) وفي هذا

الصدد نجد المجلة تبرز الطابع غير الإنساني للنظام الإيراني حيث تقول المجلة:

"إن الأسرى العراقيين تمارس ضدهم في معسكرات الإعتقال الإيرانية شتى أنواع التعذيب والضغوط النفسية لتصل أحيانا إلى حد القتل، مثل الفعلة التي قام بها النظام الإيراني أثناء معركة البسيتين، حين أقدمت القوات الأيرانية علي إعدام حوالي ١٥٠٠ أسير عراقي في ساحة المعركة وهم عزل من السلاح ولا يحميهم سوى مواثيق الشرف والقوانين الدولية".[١٥]

وفي نفس الوقت تبرز المجلة الطابع الإنساني للنظام العراقي فتقول:

"الجميع يعترف بالنبل العراقي والشهامة في معاملة أسرى الحرب الإيرانيين، حيث لم يسجل حسب كل المصادر العالمية أن أعدام أي أسير إيراني في ساحة المعركة أو في معسكرات الإعتقال، بل على العكس كان هناك أمر قيادي صادر من الرئيس صدام حسين بمعاملة الأسرى الإيرانيين معاملة إنسانية حسنة ووصل الأمر إلى أن قال - وفي وسائل الإعلام - بأن من يسيء معاملة أي أسير ايراني فسوف يلقى العقاب المطلوب".[١٦]

٢ - يلاحظ سيطرة السمات السلبية على صورة النظام السوري في مجلة الطليعة العربية، إذ نجد ٢٣٪ من مجموع المقالات التي تعرضت للنظام السوري تركز على سمة (استسلامي) وأن ١٩٪ من المقالات تركز على سمة (مهزوم) فالمجلة على سبيل المثال تتهم النظام السوري بالتناقض بين أقواله وأفعاله.[١٧]

كذلك تنتقد المجلة وزير الدفاع السوري مصطفي طلاس بمناسبة نشر حديث له في مجلة دير شبيجل الألمانية.

وتكشف الدراسة أن ١٧٪ من مقالات الطليعة العربية التي تعرضت للنظام السوري تركز على سمة (إقليمي) وأن ١٤٪ من المقالات تركز علي سمة (معزول جماهيريا) و٩٪ تركز علي سمة (دكتاتوري).[١٨]

ويكتب ميشيل عفلق الأمين العام لحزب البعث ومؤسسه افتتاحية المجلة

هاجم فيها النظام السوري.[١٩]

٣ - تغلب السمات السلبية على صورة النظام الليبي في مجلة الطليعة العربية حين نجد ٢٦٪ من مقالات المجلة التي تعرضت للنظام الايبي تركز على سمة (إقليمي) وأن ٢٢٪ من المقالات تركز على سمة (إرهابي) و١٩٪ تركز علي سمة (دكتاتوري) و١٧٪ تركز على سمة (معزول جماهيريا) و١٦٪ منالمقالات تركز علي سمة (متخلف) فالمجلة تؤكد على عزلة النظام الليبي، وتنتقد المؤتمرات الشعبية الليبية.

ويلاحظ أن مجلة الطليعة العربية تحرص على نشر بيانات فصائل المعارضة الليبية.

ثانيا: مجلة " العالم"

مجلة "العالم" أسبوعية، تأسست في لندن منذ يناير ١٩٨٤م، وهي تصدر في ٦٤ صفحة، ويرأس تحريرها الدكتور سعيد محمد، وهو عراقي يعيش في بريطانيا، والمجلة تعبر عن المعارضة الإسلامية للنظام البعثي الحاكم في العراق، ولكنها لا تكتفي بالهجوم على النظام العراقي وحده، وإنما تمد هجومها إلى كافة الحكومات العربية، وعلى الأخص في منطقة الخليج، والمجلة تصف نفسها بقلم رئيس تحريرها في أكثر من موضع، بأنها المعبرة عن الصحوة الإسلامية، والمدافعة عن حق المسلمين في السعي إلى الوحدة الإسلامية.[٣٠] ولكن رغم اهتمام المجلة بالقضايا الإسلامية فهي لا تعتبر مجلة دينية متخصصة، وإنما هي مجلة سياسية شاملة لكافة الإهتمامات ولكن من منظور إسلامي. وهي تؤيد بشكل عام الثورة الإسلامية في إيران، وهو الأمر الذي جعلها تقف مع إيران في حربها مع العراق،[٣١] وتنتقد الحكومات العربية لوقوفها بجانب النظام العراقي ومده بالمساعدات.[٣٢] وهي تدعي أنها منبر للفكر الإسلامي المستنير،[٣٣] وداعية للوحدة الإسلامية لذلك فهي تناصر كافة الحركات والتنظيمات الإسلامية في البلدان العربية، وبخاصة تلك التي تسترشد بخط الثورة الإيرانية. ورغم أن المجلة تدعي أنها ليست تابعة لنظام سياسي معين،[٣٤] إلا أن الدلائل تشير إلى أنها تتلقى دعما قويا من الحكومة الإيرانية، وخاصة أن المجلة لا تنشر الإعلانات، وهو ما يعني عمليا أنها تعيش على الدعم المالي، والذي يأتيها غالبا من إيران ومن منطقة الخليج أيضا!. والمجلة تحارب الشيوعية، وتنتقد الولايات المتحدة الأمريكية، [٣٥] وتعارض سياسات المملكة العربية السعودية وبقية دول الخليج العربي، وهي دائمة الهجوم على وسائل الإعلام العربية وتتهمها بتزييف الحقائق وتشويه وجه الثورة الإسلامية في إيران ومعاداة الصحوة الإسلامية في العالم العربي.

وتهتم المجلة بمتابعة أخبار العالم العربي والإسلامي، وكثيرا ما تنشر مقابلات صحفية مع الشخصيات الإسلامية المعارضة في المنطقة العربية. ويشارك في

تحرير المجلة عدد من الكتاب العرب والإيرانيين والباكستانيين، ومنهم عبد المنعم حتى ومؤيد عبد الوهاب وأزاد محمود وعبد الرحيم حسان وسمير صالح وكامل أحمد، ولها مراسلون في العديد من العواصم العربية والعالمية ومنهم محمد حسين في الخرطوم ومحمد العباسي في القاهرة ووحيد تاج في دمشق وطارق حماد في باريس وحسان البلال في بون والصديق الفقيه في واشنطن وعبد الله أبو فولة في الجزائر وناجي محمد في طهران وأنور الهواري في أبو ظبي.

ثالثا: الطابع العام للصحافة العراقية المهاجرة

رغم الضعف الشديد الذي ميز الصحافة العراقية التي صدرت في المهجر، إلا أنها تنفرد عن غيرها من الصحف العربية المهاجرة بعدد من الخصائص، والتي يمكن أن نجملها في التالي:

أولاً: لوحظ عدم اهتمام النظام العراقي بإصدار صحف عراقية في المهجر، وتجربته الوحيدة كانت في إصدار مجلة "الطليعة العربية" وكانت مجلة فكرية تفتقد إلى الشعبية، كما أن رئيس تحريرها لم يكن عراقي الأصل وإنما هو من قيادات حزب البعث في سوريا ومنح الجنسية العراقية، لذلك سرعان ما توقفت المجلة بعد فترة قصيرة من إصدارها.

ونعتقد أن عدم حماس النظام العراقي لإصدار صحف عراقية في المهجر، يعود إلى افتقار العراق للخبرات والمواهب الصحفية الصالحة لإصدار مثل هذه الصحف، فالتجربة الصحفية في العراق منذ سيطرة العسكريين على السلطة في عام ١٩٥٨م، ثم في ظل حكم البعث بعد ذلك، تكاد تنحصر في الصحافة الرسمية والحزبية، وقد خضعت لأسلوب الدعاية المباشرة للنظام والحزب، ومثل هذا المناخ لا يسمح بإيجاد صحافة متطورة، كما أنه يحول دون تفريخ المواهب الصحفية القادرة على إصدار صحف ناجحة في المهجر، وخاصة في ظل المنافسة القوية للصحافة اللبنانية المهاجرة.

ثانياً: إن ادراك النظام العراقي لضعف قدراته في العمل الصحفي، وافتقاده إلى المواهب الصحفية العراقية، دفعه إلى محاولة استقطاب ا لعديد من الصحف والصحفيين اللبنانيين والمصريين، فقام بتمويل عدد من الصحف العربية المهاجرة، كما عمل على تشجيع بعض الصحفيين العرب على إصدار صحف في المهجر تنطق باسمه وتعبر عن مواقفه وسياساته.

ثالثاً: لقد حقق النظام العراقي نجاحا ملحوظا في السيطرة على عدد كبير من الصحف العربية المهاجرة عن طريق التمويل والتشجيع، وعلى سبيل المثال،

فقد نجح في تمويل وليد أبو ظهر ومكنه من إصدار مجلة (الوطن العربي) في باريس، كذلك نجح في استقطاب مجلتي "كل العرب" و"التضامن" اللبنانيتين، بعد صدورهما بفترة قصيرة، كما تمكن النظام العراقي من استقطاب جريدة "العرب" اليومية الليبية، وجريدة "القدس العربية" اليومية الفلسطينية التي تصدر من لندن، ومجلة "اليوم السابع" الفلسطينية التي تصدر في باريس.

كذلك مول النظام العراقي الصحفي المصري أمير اسكندر لإصدار مجلة (المنار)، والصحفي المصري طاهر عبد الحكيم لإصدار مجلة "الفكر العربي"، وقبيل وقوع الغزو العراقي للكويت، بدا وكأن النظام العراقي قد أحكم قبضته على معظم الصحف العربية المهاجرة.!

رابعاً: لم يعدم الأمر وجود صحف عراقية مهاجرة، تعارض النظام الحاكم في العراق، ولعل من أبرزها مجلة "العالم" التي تصدر بتشجيع وتمويل من إيران، ولكن باستثناء مجلة (العالم) فإن أغلب هذه الصحف، أقرب إلى النشرات والمنشورات السياسية، يغلب عليها الجانب الفكري واستخدام الأساليب الدعائية المباشرة.

هوامش الفصل السابع

(١) الطليعة العربية، باريس ٣ إبريل ١٩٨٤.
(٢) الطليعة العربية، باريس ١٧ إبريل ١٩٨٤.
(٣) الطليعة العربية، باريس ٧ مايو ١٩٨٤.
(٤) الطليعة العربية، باريس ٢١ مايو ١٩٨٤.
(٥) الطليعة العربية، باريس ٢٨ مايو ١٩٨٤.
(٦) الطليعة العربية، باريس ١٠ ديسمبر ١٩٨٤.
(٧) الطليعة العربية، باريس ٢٨ مايو ١٩٨٤، ٥يونيو ١٩٨٤و١٢يونيو ١٩٨٤.
(٨) الطليعة العربية، باريس ١٠ يونيو ١٩٨٥. مقال بعنوان (فيتنام مرحلة ما بعد الحرب).
(٩) الطليعة العربية، باريس ١٠ يونيو ١٩٨٥. مقال بعنوان (القومية العربية وصراع المدرعات).
(١٠) الطليعة العربية، باريس ٢٦ سبتمبر ١٩٨٤ مقال بعنوان (مذكرة التاريخ المصري) و١١ يونيو ١٩٨٤ مقال بعنوان (سيناء والجهد العربي).
(١١) الطليعة العربية، باريس ٣ ديسمبر ١٩٨٤ مقال بعنوان (الطريق العربي إلى التقدم).
(١٢) الطليعة العربية، باريس ١١ يونيو ١٩٨٤.
(١٣) الطليعة العربية، باريس ٢٨ مايو ١٩٨٤.
(١٤) الطليعة العربية، باريس ١٠ يونيو ١٩٨٥ مقال بعنوان (إيران تستنجد بمجلس الشياطين).
(١٥) الطليعة العربية، باريس ٣ ديسمبر ١٩٨٤ مقال بعنوان (في يوم الشهيد .. هكذا احتفل العراق).
(١٦) نفس المصدر.
(١٧) الطليعة العربية، باريس ٣ ديسمبر ١٩٨٤.
(١٨) الطليعة العربية، باريس ٢٦ تشرين الثاني ١٩٨٤ مقال بعنوان (اختلاط الصورة في دمشق).
(١٩) الطليعة العربية، باريس ١٠ يونيو ١٩٨٥ مقال بعنوان (لا خلاص إلا بالعودة إلى المبادىء).
(٢٠) العالم: لندن، يناير ١٩٨٤.
(٢١) العالم: لندن، مارس ١٩٨٦.
(٢٢) العالم: لندن، مايو ١٩٨٥.
(٢٣) العالم: لندن، سبتمبر ١٩٨٨.
(٢٤) العالم: لندن، ديسمبر ١٩٨٩.
(٢٥) العالم: لندن، فبراير ١٩٩٠.